الفلسطينيون يباركون الاستقلال

ربما كان الاستاذ اليهودي الاميركي، جيروم سيغال، من بين أكثر المراقبين اهتماماً بتطورات الموقف السياسي الفلسطيني في الفترة الاخيرة. فقد نُسبت الى مدرّس الفلسفة في جامعة ماريلاند الاميركية فكرة اعلان دولة فلسطينية مستقلة من طرف واحد، قبل ان تتبلور الفكرة، وتتطور، في الاوساط السياسية الفلسطينية، باعتبارها تتويجاً أمثل لمنجزات انتفاضة كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ الشعبية، في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين. قال سيغال، الذي رافق دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة غير العادية، في الجزائر، انه، منذ نشر مقالته، حول هذا الموضوع، في صحيفة «الغارديان ويكلي» البريطانية، أطلق عليه آخرون لقب «الأب اليهودي لدولة فلسطين». واعتبر سيغال ذلك نوعاً من السخف؛ لكنه لم يخف سعادته من انه لعب «دوراً صغيراً في الاحداث التي صُنعت في نهاية هذا الاسبوع» (١٥/١١/١٩٨٨)، في الجزائر (جيروم سيغال، «لماذا لا تحصل فلسطين على اجابة ' نعم ' »، **الغارديان**، لندن، ٢٧/١١/١٩٨٨).

في رأي سيغال، انه لا يمكن التقليل من أهمية اعلان المجلس الوطني الفلسطيني قيام دولة فلسطينية. ففلسطين قد وُجدت الآن. وأصبحت أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة تابعة لبلد محتل؛ واصبحت ملايين عدة من فلسطينيين بلا وطن مواطنين في هذه الدولة. وقد تمت خطوة هامة باتجاه السلام. لكن، ولسوء الحظ، انه، في الوقت الذي أعلن الفلسطينيون عن رغبتهم في السلام، «كانت اسرائيل تبحث في تشكيل حكومة جديدة معارضة لأي مبادلة للارض بالسلام» (**المصدر نفسه**).

بعيداً من سيغال، وما أثاره، وما أثير من حوله، كانت الاحداث، في الضفة والقطاع، تتشكل على أعتاب المجلس الوطني الفلسطيني، ضمن مجريين؛ المجرى الاسرائيلي الباحث عن ترجمة مثلى لمعارضة أية خطوة فلسطينية في الاتجاه المشار اليه، والذي كانت معالمه ظهرت من خلال النقاشات الفلسطينية المكثفة على امتداد أكثر من ثلاثة شهور؛ والمجرى الفلسطيني الذي يريد التعبير، بأقوى الاشكال والأدوات المتوفرة لديه، عن فرحته باعلان استقلاله، ولو من طرف واحد.

جاء الموقف الاسرائيلي المعبّر عن هذا الرفض، والساعي الى محاصرة الفرح الفلسطيني، في تحذيرات اطلقها كل من وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، ورئيس اركان الجيش، دان شومرون (٩/١١/١٩٨٨)، من ان الجيش الاسرائيلي «سوف يمنع، بالقوة، عمليات الاحتجاج خلال اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، وبعد اعلانه المتوقع عن قيام دولة فلسطينية مستقلة». وصرّح رابين بأنه «اذا أجريت محاولات، بعد الاجتماع [المجلس الوطني] وقراراته، للشغب العام على الأوامر [الاحتلالية]، وعمليات عنف وتظاهر، فسوف تقمع بالقوة». وقال شومرون كلاماً مشابهاً، فأكد ان دور الجيش الاسرائيلي، في هذه الفترة سوف يتركز في منع المتظاهرين الفلسطينيين من اظهار دعمهم للمجلس الوطني، وصرح: «نحن على مفترق طرق في مسيرة الانتفاضة. وعندما يحقق السكان [الفلسطينيون] هذا القرار [باعلان الاستقلال الوطني]، فسوف يكون لذلك معنى واحد معلن، ان لا شيء يمكن تحقيقه هنا. وحتى لو لم تقم تظاهرات، فانهم سوف يدركون ان المعاناة التي بلوا أنفسهم بها لا طائل منها» (جويل غرينبرغ وكينيث كابلان، «رابين وشومرون يحذران: لن يسمح الجيش الاسرائيلي بعمليات احتجاج خلال اجتماعات المجلس الوطني»، **جيروزاليم بوست**، ١٠/١١/١٩٨٨).

نفّذت قوات الاحتلال هذه السياسة بعد نصف ساعة من اعلان المجلس الوطني الفلسطيني قيام دولة مستقلة على اراضي الضفة والقطاع، وعاصمتها